وجدتها كلها ازهارًا دقيقة. واغرب من ذلك انهُ يوجد نوع صغير من الحشرات يضع بيضهُ في ثمر التين البري فتخرج صغارهُ حينما تبلغ اشدها من جوف التينة حاملة اللقاح على ظهرها وتفتش عن تينة أخرى لتدخل فيها وتبيض. فيدخل بعضها في افواه التين البستاني الذي يؤكل ويلقح هذه الازهار الصغيرة باللقاح الذي لصق بهِ من التين البري ثم يخرج كما دخل لانهُ لا يجد مكانًا مناسبًا ليضع بيضهُ فيهِ. وهذه هي الفائدة من التين البري ومن هذه الحشرات الصغيرة. والباحث في طبائع الحيوان والنبات يرى غرائب كثيرة تدهش العقول وتحيّر الافكار

البارود والتمدن

ومن العداوة ما ينالُكَ نفعُهُ ومنَ الصداقةِ ما يضرُّ ويُؤلِمُ

كم ضرّ جرّهُ نفع وكم نفع جرّهُ ضرّ. هذا البارود الذي نعدُّهُ من ويلات هذا الزمان ومقوّضات دعائم العمران لهُ في تشييد صروح الحضارة الرايةُ البيضاء. وفي قلب جيوش الاستبداد الطعنةُ النجلاء. تبصّر رعاك الله في احوال البشر وطالع تاريخهم واستقصِ احوالهم في العصر الذي اخترعوا البارود فيهِ ترَ انهم كانوا قد انقطروا شطرين وانقسموا طائفتين طائفة الرؤساء اهل البطش والسيادة لهم الحصون الرفيعة والدروع المنيعة والخيول المطهمة والانعام المسوّمة. يأكلون الفالوذج والسكباج ويرفلون بالحرير والديباج نساؤهم يلبسنَ الخزّ والاستبرق واطفالهم يربون في اسرّة العاج والذهب. تنقضي ايامهم بالصيد والقنص وليالهم بالرقص والطرب وكأنّ لسان حالهم يقول

وإذا السعادةُ راقتكَ عيونُها نَمْ فالمخاوفُ كلهنَّ امانُ
واصطَدْ بها العنقاءَ فهي حلالةٌ واقتَدْ بها الجوزاءَ فهي عنانُ

ولهم الكلمة النافذة في مرؤوسيهم والسيادة المطلقة عليهم يسومونهم الذل ويبتزّون جنى اتعابهم من ايديهم

والظلمُ من شيم النفوس فان تجد ذا عفّةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ

وطائفة المرؤوسين وهم في اللباس الرثيث والعيش الغثيث والكد الحثيث يفترشون التراب ويلتحفون الاهاب. يحرثون الارض واسيادهم تأكل غلتها ويرعون المواشي واسيادهم تشرب لبنها ويفترون الصيد واسيادهم تأكل لحمهُ وقد ضربت عليهم الذلّة والمسكنة واسان حالهم يقول

مَنْ يهُنْ يسهل الهوان عليهِ ما لجرحٍ بميّتٍ ايلامُ

والناقد البصير يرى ان السبب الاكبر لهذا البعد الشاسع بين الرؤساء والمرؤوسين هو اتقان الرؤساء لوسائط الدفاع من الحصون والمعاقل والاقفال والخنادق والدروع والمغافر وافتناؤهم للخيول المطهمة التي تحملهم وتحمل عددهم مهما ثقلت وتسهل عليهم الكرّ والفرّ. فكان الانسان اذا اتسعت ثروته يبني لنفسه حصنًا حصينًا و يعتدّ له من العدّة ما يمنع عنه هجمات الذين يستثقلون وطأته من قومه ثم يجور عليهم و يقاسمهم جنى ايديهم قهرًا. ويربو اولادهُ على ما كان والدهم لانهم لا يسمعون منذ طفوليتهم غير اخبار البسالة والاستبداد ولا يتمرّنون الاّ على الفروسة واستعمال السلاح فيزدادون اثرةً وعتوًّا ويزيد مرؤوسوهم ذلاًّ ومسكنةً

هذه كانت احوال اوربا في القرون الوسطى المدعوة بالقرون المظلمة وهذه كانت احوال القطر المصري والشامي في ايام ملوك الطوائف ومن اتى بعدهم الى ان انقرضت دولة المماليك من بلاد مصر وزالت سطوة الامراء والمشايخ من بلاد الشام

وبينا الخاصّة تزيد اثرةً وعتوًّا والعامّة ذلاًّ ومسكنةً والجهل مسدول ستارهُ والظلم متسعرة نارهُ والطبيعة تئنّ من الجور والفجور والنفوس الابيّة تخيّر القبور على الصدور امتزج الفحم والملح والكبريت فكان منها هذا الدقيق الاسود الوجه الابيض الاثر الذي هدّ الحصون وفلّ الدروع وردم خنادق الاثرة ومزّق رايات الاستبداد. ولكنهُ لم يتم بهذه الاعمال الخطيرة دفعة واحدة ولا طأطأت له العدد القديمة رأسها الاّ بعد ان مرّت عليهِ اعوام طوال اشتدّ فيها فعلهُ وأتقنت آلاتهُ. فقد استُعمل المدفع اوّلاً في فتح جبل طارق استعملهُ الملك فرديناند الرابع في اوائل القرن الرابع عشر ثم مرّت على البارود مئة عام قبلما استُعمل في ما يشبه البندقية. ويظن البعض ان الصينيين استعملوهُ منذ مئات من السنين ولكنهم لم يتقنوا آلاتهُ كما اتقنها الاوربيون ولا تفننوا فيها مثلهم. وكانت البنادق الاولى انابيب وسيعة من الحديد مسدودة من احد طرفيها ولها ثقب صغير بجانب هذا الطرف يضرم البارود منهُ بجمرة

ولكبر هذه البنادق وضرورة ركزها على الارض استعزّ بها المشاة وضعفت سطوة الفرسان ولم تنفعهم سرعة خيولهم ومناعة دروعهم. وما زالت الاسلحة النارية تزيد اتقانًا ووسائط الدفاع تزيد امامها وهنًا والمشاة يزيد فتكهم والفرسان يتضعضع شملهم حتى كانت سنة ١٤٧٧ فتتك فيها مشاة سويسرا بفرسان الملك كارلس الجسور. وسنة ١٥٢٥ فتتك فيها مشاة اسبانيا بفرسان فرنسيس الاول ملك فرنسا

ثم اخترع اهالي اسوج الفشك (الخرطوش) فاسّسوا بها دعائم الحريّة. وقام كرومول الانكليزي واثبت وجوب المساواة بين الناس بواسطة الاسلحة النارية. ومن ثم اضطرّ الفرسان ان

ينزعوا العدد الثقيلة عنهم وعن خيولهم لكي تخف ويسهل عليها الكرّ والفرّ ولم يعودوا يحتجون الى الحرب والصدام فانكسرت شوكتهم وضعفت سطوتهم وصار النصر للعامّة لكثرة عددهم وخفة حركتهم. فرأى الملوك هذه الفرصة وقالوا

اذا هبّت رياحُكَ فاغتنمها ... فان الخافقاتِ لها سكونُ
وان ولدتْ نيافك فاحتلبها ... فما تدري الفصيل لمن يكونُ

فاغتنموها وجمعوا شمل العامّة ونظموا منهم الجنود وهجموا بهم على معاقل الامراء الذين كانوا يقاسمونهم الملك و يعيشون بالرعية ففهروهم ونزعوا منهم كثيرًا من امتيازاتهم . فزاد الامن وارتفع شأن العامّة لانهم صاروا دعامة الملك فاقبلوا على تحسين الزراعة والصناعة والتجارة وغرق الامراء في بحار الشهوات والمفاسد وتبوّأ ارائك الامارة غيرهم من رعاياهم. والفضل في ذلك لهذا الدقيق الاسود الذي دك الحصون وابطل سطوة الفرسان

هذا ما كان من فعل البارود في اوربّا اما في اميركا فلولا البارود ما عُمّرت تلك البلاد ولا توطنها الاوربيون لان الذين دخلوها اولاً منهم وجدوا فيها العدد العديد من الهنود الذين ما كانوا ليسلموا البيض شبرًا من ارضهم لو لم يُكرَهوا على ذلك بقوة الاسلحة النارية . ووجدوا فيها من الوحوش الضارية ما كان افناهم عن آخرهم لولا البارود . ونحن لا نبرر الاوربيين على قتل الهنود واستلاك بلادهم ولكننا لا نستطيع ان ننكر النتائج الحميدة التي نجمت عن دخول الاوربيين لاميركا واستلاكهم اياها

وما فعلُ البارود باسيا وافريقية باقلّ من فعلهِ في اوربّا واميركا . فبهِ تقلّص ظلّ الممالك والامتيازات والامراء والمشايخ وبهِ سادت دولة الروس على سيبيريا وما تاخمها من البلاد ونشرت لواء الامن فيها . وكل النتائج الحميدة التي نجمت من الحروب الحديثة في اسيا وافريقية لم تنجم لولا الاسلحة النارية كأنّ الهيئة الاجتماعيّة مصابة بفروح كثيرة لا تشفى ما لم تكن بنار البارود. وهذا الكي اليم ولكن لا بدّ منهُ في الحال والاستقبال ما لم يبلغ البشر عصرًا يحكّمون فيهِ العقل والضمير و يتقاضون اليهما صاغرين . وهذا العصر آتٍ ان شاء الله تعالى والصالحون يحثون الاقدام اليهِ ويحثّون الاجتماع الانساني عليهِ

محقوق الصقل البلجيكي

يصنع هذا المحقوق بمزج ليبرة ونصف من الطباشير الناعم واوقيتين من خزف الفلايين واوقيتين من كربونات الرصاص وثلاثة ارباع الاوقية من كربونات المغنيسيا وثلاثة ارباع الاوقية من الزوج